

## النظرية السياقية قراءة في التشكيل والتأويل

## Contextual theory

## Reading in diacritics and exegesis

الدكتور محمد شهري

المركز الجامعي مرسلبي عبدالله تيبازة (الجزائر)

## الملخص:

إن فكرة السياق لما تناوله الغربيون في القرن العشرين ليست جديدة، إنما استمرار لمسار الدرس اللغوي كما أن العرب والهنود لهم الأسبقية في تناوله.

إلى أن الغربيين كانت صياغتهم لهذه الفكرة في قالب نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى الصوتية والصرفية واللغوية والاجتماعية.

. لعل كتاب "دي سوسير" "دروس في الألسنية العامة" أكسب مؤلف شهرة واسعة في ميدان علم اللغة، حيث عد

رائدا للدراسات اللغوية الحديثة التي تعتمد التمييز التام في مناهج البحث ما من وظيفية وتاريخية.

وأدت بظهور ما يعرف بعلم اللغة الحديث الذي يتخذ الوصف منهجا والبنية اللغوية هدفا وغاية.

. ولقد أذن هذا الكتاب بجملة من المبادئ اللغوية العامة التي أصبحت فيما بعد ركائز أساسية في البحث اللغوي . واتخذت

هذه المبادئ شكل ثنائيات أو ثلاثيات متقابلة أو متكاملة أو متقاطعة، هو مثل ثنائية اللغة والكلام والتاريخي والآني

والسياقي والإيجائي.

كلمات مفتاحية : نظرية ، سياق ، مساق ، بنية ن رؤية

:SummaryThe idea of context for what the Westerners dealt with in the twentieth century is not new, but rather a continuation of the course of the linguistic lesson just as the Arabs and Indians take precedence in dealing with itThat the Westerners formulated this idea in the form of a theory that is applicable to all types of phonemic, morphological, linguistic and social meaningPerhaps de Saussure's book "Lessons in General Linguistics" has earned the author a wide fame in the field of linguistics, as he was considered a pioneer in modern linguistic studies that rely on complete distinction in research methods, both functional and historical.

And it led to the emergence of what is known as modern linguistics, which takes description as an approach and the linguistic structure as an objective and an end.

This book authorized a number of general linguistic principles that later became basic pillars of linguistic research. These principles took the form of duals or triples facing or complementary or intersecting, which is like bilingualism, speech, historical, immediate, contextual and suggestive.

Key words: theory, context, course, structure n vision

#### مقدمة:

كان مفهوم السياق في النقد القديم عنصرا مشتركا بين البلاغة والنقد فالسياق في البلاغة: هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، أي أن التعبير الأدبي لا بد أن يحوي معنى يناسب السامع، و بهذا المعنى يتطلب شكلا فصيحاً، ولن يكون المعنى مناسباً لمقتضى الحال، إلا أن جاء التعبي مصورا لأبعاد هذا المعنى تلك الأبعاد التي تتولد في أثناء السياق، تبعا لدرجات الانفعال، والسياق في البلاغة قد يستدعي تعبيرا على مقتضى الظاهر، ويأتي التعبير على خلاف مقتضى الظاهر فلا يعتبر زخرفا لفظيا وليس مجرد تنوع في الأسلوب، إنما هو ضرورة اقتضتها طبيعة السياق.

. اتجه البحث في الأدب إلى العناية بعلمي اللغة والنحو، خوفا من شيوع الفساد وتطرقه إلى ظاهرة الإعراب، حاول علماء اللغة والنحويين، البحث في أوجه الشبه بين الأدب والنحو، وحاول الباحثون في الأدب تلمس أوجه المفارقة بينها واستغلوا فرصة السياق في أغلب الأحيان، فالجملة الفعلية تتكون من فعل وفاعل ومفعول به أو أكثر، والجملة التي تأتي على هذا الشكل تعد شكلا مثاليا يمثل القاعدة النحوية، غير أن النحويين أجازوا حذف المفعول به .

غير أن النقاد كان لهم تصور آخر في الحذف، تصور جمال مرتبط بالمعنى ومحقق لمتطلبات السياق، بحيث لو جاء

التعبير على صورته العادية لضرب السياق ولم يتحقق المعنى، ومنه فالسياق يتطلب تعبيرا يناسبه، بحيث يتحقق هذا

التعبير بعددين أساسيين: بعد المعنى الذي يفهم المتلقي وبعد التأثير الذي يتحقق من طريقة التشكيل اللغوي والتصوير الفني.

إن مناسبة التعبير للسياق تقتضي طريقة تشكيل معينة فإذا وقعت اللفظة في سياقها حسنت، وإذا لم تأتلف مع السياق قبحت، ومفهوم الحسن والقبح أو الجودة والرداءة أحكام بلاغية وهي كذلك تعني مفاهيم نقدية.

تعريف النظرية السياقية:

**تعريف السياق:** السياق في الدرس اللغوي من الجذر اللغوي (س و ق) وساق بنفسه سياقاً: نزعها بها عند الموت، تقول رأيت فلانا سوق سوقاً أي ينزع نزعاً عند الموت، ويعني الموت، الكسائي يقول هو يسوق نفسه ويفيض نفسه وقد فاضت نفسه وقد أفاضه الله نفسه ويقال: فلان في السياق أي في النزع. ابن شميل: رأيت فلانا بالسوق نزع الروح، وفي الحديث دخل سعد على عثمان هو في السوق أي النزع كأن روحه تساق لتخرج من بدنه. أصله سواق فقلبت الواو ياء لكسر السين، وهما مصدران من ساق يسوق، وفي الحديث: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت. (1)

أما السياق في الاصطلاح فيعرفه الباحث الإنجليزي فيرث Firth: أنه الوحدات الحقيقية للغة ليست الأصوات ولا طريقة الكتابة أو المعاني ولكنها العلاقات التي تمثلها هذه الأصوات والأساليب والمعاني... أنها العلاقات المتبادلة أو المشتركة داخل السلسلة الكلامية والصيغ الصرفية والنحوية إن فيرث لا يعتبر أي وجود للمعنى خارج السياق (2)

لقد صرح فيرث بأن المعنى (معنى الكلمة) لا يكتشف إلا من خلال تسييق الوحدة. (3).

إن علماء اللغة المحدثين كانوا أكثر التفاتاً للتفاصيل التي تحيط بالمقام والسياق ودورها في تحديد الدلالة وأدركوا أن من طبيعة المعنى المعجمي والتعدد والاحتمال لأنه إذ تعد معنى الكلمة في المعجم أو في حالة الأفراد لا تفهم معزولة عن السياق أو المقام، ولذلك توصف الكلمات في المعجم بأنها مفردات بل إلا وجود الكلمات في المعجم هو موجود مصطنع لأن الكلمات وجدت لكي تستعمل إلا لكي تحفظ ومن ثم فإن وضع الكلمات في المعجم هو الخطوة الأولى في سبيل استعمالها وليس من أجل حفظها. (4)

والكلمات في المعجم ذات أبعاد متعددة تجعلها صالحة للدخول في أكثر من سياق ومن ثبوت ذلك لما يأتي بالضرورة تعدد معناها ومعنى أن الكلمة في حال انعزالها لا تدل إلا على دلالات عامة، والذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات إنما هو السياق. (5)

إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة على الكلمة، وبالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق هو أيضا هو الذي يلخص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية. (6)

لقد ارتبط اسم النظرية السياقية بالعالم الإنجليزي فيرث الذي يعتبر زعيم هذا الاتجاه حيث وضع تأكيد كثيرا على الوظيفة الاجتماعية للغة كما ضم الاتجاه أسماء مثل Halliday و Mc Intosh و Michell و Lyon أحد التطويريين الهامين المرتبطين بفيرث نظريته السياقية للمعنى (7)

ومعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو استعمالها في اللغة أو الطريقة التي تستعمل بها أو الدور الذي تؤديه ويقول أصحاب هذه النظرية في شرح وجهة نظرهم: معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها (8).

ومن أجل تركيزهم على السياقات اللغوية، التي ترد فيها الكلمة وأهمية البحث عن ارتباطات الكلمة بالكلمات الأخرى، وعلى هذا فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، ومعنى الكلمة . على هذا . يتعدل تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها. (9)

## أنواع السياق

للسياق أربع أنواع هي:

## السياق اللغوي:

ويقصد به مجموعة الأصوات والكلمات والجمل التي تؤدي مدلولاً محددًا، وما من شك في أن مدلول كلمة يتحدد

من خلال السياق، ولا يمكن لأحد أن يزعم لنفسه معرفة مدلول كلمة ما بدون أن يراها في سياقها. (10)

أكثر من ذلك أننا حينما نقول بأن إحدى الكلمات أكثر من معنى في وقت واحد تكون ضحايا الانخداع إلى حد

ما، إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعينه سياق النص، أما المعاني

الأخرى جميعها فتمحى وتتبدد ولا توجد إطلاقاً (11)

وقد فطن اللغويون القدامى إلى دور السياق في تحديد المعنى، ومن هؤلاء، عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل

الإعجاز في علم المعاني" حيث يقول "إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن

لأن ينظم بعضها إلى بعض فيصرف فيما بينها من فوائد، وهذا لعلم شريف، وأصل عظيم، والدليل على ذلك أننا إذا زعمنا

أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة إذما وضعت ليعرف بها معانيها في أنفسها. (12)

ويعتقد بعض الباحثين أن معنى الجملة هو مجموع معاني الكلمات التي تتضمنها لكن هذا غير صحيح إذ أن

الكلمات تأخذ معانيها من معاني الجمل التي تتركب فيها وليس العكس (13).

ويرى فيرث Firth أن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تنسيق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة، لأن معظم

الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة

الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها. (14)

إن معاني الكلمات أو الجمل أو التراكيب لا يهتدى إليها عن طريق تحليل السياقات والمواقف المختلفة

التي تساق فيها، ولا يجزئ في تحديد معاني الكلمات استحضار الشيء أو وصفه أو العريف به (15)

ويمكن التمثيل للسياق اللغوي بكلمة (Good) الانجليزية، ومثلها كلمة (حسن) بالعربية أو (زين) العامية، التي تقع في سياقات لغوية متنوعة وصفا لأشخاص أو لأوقات أو لمقادير، فإذا قلنا: رجل حسن، فإنما تعني الناحية الخلقية، وإذا وردت وصفا لطبيب مثل كانت تعني التفوق في الأداء، وإذا وردت وصفا لمقادير: ملح، دقيق، كانت تعني الصفاء والنقاء (16).

كما يمكن التمثيل له بكلمة "يد" التي ترد في سياقات متنوعة منها:

1. أعطيته مالا عن ظهر (يد) يعني تفضلا ليس من بيع ولا قرض ولا مكافأة.
2. هم (يد) على من سواهم: إذا كان أمرهم واحدا.
3. (يد) الفأس ونحوه: مقبضا.
4. (يد) الدهر مد زمانه.
5. (يد) الريح: سلطانها.
6. بايعته (يدا) بيد أي نقدا.
7. سقط من (يده): ندم.
8. هذه (يدي) لك: أي استسلمت وانقدت لك.
9. إن بين (يدي) الساعة أهوالا: أي قدامها.
10. حتى يعطوا الجزية عن (يد)، أي ذل، واعتراف للمسلمين يعلو أيديهم.
11. (يد) الرجل: جماعة قومه وأنصاره، (17).

ويقولون في البيئة اللسانية العربية في كلمة ضرب التي ترد فيما يلي:

ضربت الطير: أي ذهب تبتغي الرزق.

ضرب الدرهم: بمعنى سبكه وطبعه.

ضرب الجزية عليهم: أي أوجبها (18)

السياق العاطفي أو الانفعالي:

يختلف هذا السياق عن السياقات الأخرى كونه يرتبط بدرجة قوة الانفعال المصاحبة للأداء الفعلي للكلام من حيث ما يقتضيه الكلام من تأكيد أو مبالغة أو اعتدال، يقول ستيفن أولمان: "السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف، أو أنها قصد بها أساسا التعبير عن العواطف والانفعالات وتوضح هذا بصفة في مجموعة من الكلمات نحو حرية وعدل التي تسحن في كثير من الأحيان بمضامين عاطفية، بل أن بعض الكلمات المستعملة في الحياة اليومية العادية تكسب نغمة عاطفية قوية وغير متوقعة في الموافق الانفعالية. (19)

ويمثل ستيفن أولمان لذلك بكلمة / جدار / في هذه القطعة من حلیم ليلة في منتصف الصيف.

وأنت أيها الجدار، أيها الجدار الحلو الجميل

أنت الذي تحول بين بيت أبيها وبيني،

أنت أيها الجدار الحلو الجميل لا تتصدع من أجل فألمحها بعيني؟

شكرا لك أيها الجدار المهذب، رعاك الله من أجل هذا الصنع

لا أنت أيها الجدار اللئيم الذي لا أرى من خلاله رحمة

لعنة الله على كل حجر فيك لقد خدعتني (20)

نلقى هذه الصورة واردة أيضا عند امرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف إعجازا وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بصبح وما الأصباح منك بأمثلي (21)

ولذلك أمست المداخل المعجمية الدالة على الانفعالات المختلفة متفاوتة من حيث درجة الانفعال وفق السياقات

العاطفية التي تتواتر فيها عادة ومن ذلك التفاوت الدلالي بين / الغضب / و / السخط / / على الرغم من انتمائها إلى مجال

دلالي مشترك، إلا أنهما يختلفان من حيث التواتر السياقي بدرجة الانفعال المقيدة لكل منهما، فالغضب كما يقول أبو هلال العسكري: "من الصغير إلى الكبير ومن الكبير إلى الصغير، والسخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير يقال سخط الأمير على الحاجب على الأمير." (22)

ومن الأمثلة على ذلك نذكر الفعلين يغبط . يحسد، فالغبطة أن تتمنى أن يكون لك مثل ما عند الآخرين من الخير، دون أن يزول هذا الخير منهم، أما الحسد فهو تمنى زوال النعمة من عند الآخرين، سواء جاءت للحاسد أو لم تأت إليه، كما أن هناك أيضا تفاوتاً دلاليًا من حيث درجة الأنفعال بين الغضب والغيط، يقول أبو هلال العسكري، في هذا الشأن: "إن الإنسان يجوز أن يغتاظ من نفسه، ولا يجوز أن يغضب عليها، وذلك أن الغضب إرادة الضرر المغضوب عليه، ولا يجوز أن يريد الإنسان الضرر لنفسه، والغيط يقرب من باب الفم." (23)

#### أ- السياق الثقافي:

ويقصد به المحيط الاجتماعي والثقافي الذي تستعمل فيه الكلمة، بمعنى أن الثقافة لها دور هام في تحدد المدلول، فكلمة (عقليته) تعد العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة (زوجته) بالقياس إلى كلمة (امراته)، بالقياس إلى كلمة (حرمه) وكلمة (جذر) لها معنى عند المزارع، ومعنى ثاني عن اللغوي، ومعنى ثاني عند عالم الرياضيات، والذي فرق بين هذه المعاني الثلاثة هو السياق الثقافي، الذي يفرض على الكلمة مدلولاً محدداً تابعاً من المحيط الثقافي الذي نشأت فيه (24)

إن السياق الثقافي هو الذي فرض على كلمة (عامل) أن تدل في العصر الجاهلي كل من يعمل بيده، والجمع لها، عمال، وعملة، ثم صارت في العصر الإسلامي تدل على الوالي المعين من قبل الخليفة على مصر من الأمصار، والجمع لها عمال فقط، ثم في العصر العباسي ومع نشأة علم الكلام، أصبحت كلمة عامل تعني السبب أو الدافع، والجمع لها عوامل فقط.

ثم في العصر الحديث أصبحت كلمة عمل تحمل كل هذه المدلولات ولكن إذا جمعت أعلى: عمال أنصرف الذهن إلى من يعملون بأيديهم وإذا جمعت على: عاملون أنصرف إلى موظفي الدولة، وإذا جمعت على: عوامل أنصرف الذهن إلى الأسباب والدوافع، وهكذا يصبح للمحيط الثقافي أثر في تحديد مدلول الكلمة (25)

وعلى ذلك كلمة "عملية" التي لها معنى الجراح، ومعنى ثاني عند المحارب، ومعنى ثالث عند التاجر، والذي يحدد هذا المعنى هو السياق الثقافي (26)

### ب- سياق الموقف:

إن السياق الموقف في رحاب الدلالية السياقية هو الإطار الخارجي الذي يحيط بالإنتاج الفعلي للكلام في المجتمع اللغوي، أي الحيز الاجتماعي الذي ينتج فيه مدخل معجمي ما، ويمكن أن تمثل ذلك بالمدخل المعجمي (عملية) الذي يتغير مدلوله في النظام اللساني العربي بتغير السياق الموقف الذي يريد فيه إجراء العملية في سياق موقف تعليمي، يعني إجراء عملية حسابية مألوفة من ضرب أو جمع أو طرح. (27)

وفي السياق الطبي، تعني إجراء عملية جراحية لاستئصال ورم أو غيره أما إجراؤها في السياق الموقف العسكري فهي تنفيذ خطة عسكرية معينة (28)

وكان اللغويون العرب الأقدمون قد أشاروا إلى أهمية سياق الموقف، أو الحال في إيضاح الألفاظ الدالة المتواضع عليها في المجتمع اللغوي وتأثيلها، وفي هذا السمت تلقى ابن جني (390هـ) حيث تعرضه لأسباب التسمية، يقول "يكون الأول الحاضر شاهد الحال، فعرف السبب الذي له ومن أجله وقعت عليه التسمية، والآخر لبعده عن الحال ولم يعرف سبب التسمية." (29)

إن ابن جني هنا يشير إلى أهمية سياق الحال في تحديد المدلولات المتعلقة بالمدخل المعجمية بوصفها ألفاظا دالة متواضعا عليها في البيئة اللغوية المتجانسة، ثم يستطرد موضحا ذلك بقوله: "ألا في ترى لقولهم للإنسان إذا رفع صوته قد رفع عقيرته، فلو ذهب تشتت هذا بأن تجمع بين معنى الصوت، وبين معنى / ع ق ر / لبعده عنك وتعسفت وأوصله أن رجلا قطع إحدى رجله، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم صرخ بأرفع صوته، فقال للناس رفع عقيرته." (30)

تلقى ابن جني في هذا المقام يستحضر سياقاً موقفياً ثم فيه توليد دلالي للفظ مألوف في البيئة اللغوية العربية بتوسيع حقله الدلالي، لأن المعنى المعجمي للأصل الثلاثي / ع ق ر / هو الجرح، يقول الخليل: "العقر كالجرح، يقال عقرت الفرس، أي كسعت قوائمه بالسيف، وفرس عقير، وتعقور، وخيل عقرى." (31)

فإذا نظرنا في العلاقة الدلالية بين / الصوت/ و / العقيرة / نلاحظ أن هناك تحولاً قد طرأ على مدلول لفظ / عقيرة/ وذلك بتوسيع مجاله الدلالي ليشمل المجال الدلالي للفظ / الصوت/ وقد تم هذا التحول في رحاب سياق موقف معين بالتناسب بين الحدث والصوت المصاحب لذلك الحدث. (32)

وقد كان أوما إلى هذا المناسب بن فارس ( 395 هـ ) حين قال: "أما قولها أهلى عقيرته إذا تغنى، أو قرأ، فهذا أيضاً من باب المجاورة، وذلك فيما يقال رجل قطعت إحدى رجله فرعهما، ووضعها على الأخرى وصرخ بأعلى صوته، ثم قيل لكل من رفع صوته، والعقيرة هي الرجل المعقورة، ولما كان الصوت عنده سمي الصوت بها." (33)

#### نظرية السياق بين القدماء والمحدثين:

أ- القدماء ونظرية السياق: يتضح لنا إدراك أهمية السياق بشقيه اللغوي والاجتماعي في ثلاث من البيئات العلمية،

الإسلامية المعنية بدراسة النصوص اللغوية، وهي بيئات المفسرين والبلاغيين والأصوليين، بيد أن حديث الأصوليين عنه

يبدو أكثر وضوحاً وإحاحاً وتفصيلاً على النحو الذي سنبيحه. (34)

المفسرون والسياق: وضع المفسرون شروطاً في المفسر تتمثل في اتقانه لمجموعة من العلوم أشبه ما تكون بمراحل التحليل

المذكورة في نظرية السياق، يتصل بالتحليل الصوتي منها اشتراطهم أن يكون عالماً بالقراءات "يعرف كيفية النطق بالقرآن

وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض، والواقع أن النص القرآني يتميز عن سائر النصوص المكتوبة بهذه

الخصوصية الصوتية التي حفظت لنا طريقة أدائه، ومواضيع الوقف والوصل وغير ذلك مما له أثر في تحديد المعنى. (35)

ويتصل بها في التحليل الصرفي إتقان التصريف لأن به تعرف الأبنية والصيغ، قال ابن فارس: من فاته عليه فاته

المعظم لأن "وجد" مثلاً كلمة مهمة فإذا صرفتها اتضحت بمصادرها ومعرفة اشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين

مختلفتين اختلف المعنى اختلافاً كالمسيح: هل هو من السياحة أو من المسح (36)

ويتصل منها بالتركيب إتقان علوم النحو والمعاني والبيان والبديع أما النحو فلأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، وأما المعاني والبيان والبديع، يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها للمعنى وبالتالي خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها وبالثلث وجوه تحسين الكلام. (37)

ويتصل منها المعجم ما يسمونه بعلم اللغة وهو يعني عندهم متن اللغة لأن به يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

ويولي القدماء هذه المعرفة عناية خاصة فينقل عن الأمام قوله: " لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكلا وبسبب هذه العناية ظهرت كتب وجه أصحابها اهتمامهم بهذا النوع من الدراسة المعجمية ككتاب المفردات للراغب الأصفهاني.

ومن شروط المفسرين أيضا معرفة المكّي والمدني، والترتيب الزمني لنزول الآيات هذا بالإضافة إلى العلوم الأخرى وهي أصول الدين أصول الفقه، والفقه والناسخ والمنسوخ، إن هذه الشروط التي اشترطت في المفسر أن تكشف لنا عن إدراك المفسرين الواعي لعناصر السياق اللفظية والحالية وأثرها في الكشف عن المعنى ، والوصول إلى الوجه الدقيق فيه. (38)

### البلاغيون والسياق:

إذا انتقلنا إلى البلاغيين رأينا منهم عناية بساق الحال وهو ما سموه بالمقام وهو الشق الاجتماعي من شقي السياق العام فمقام الفخر غير مقام المدح وغير ذلك وعبارتهم المشهورة "لكل مقام مقال" تدل على تميزهم على شقي السياق، وهذا التمييز ضروري في تحليل المعنى بيد أن البلاغيين لطبيعة دراستهم التي عنوا فيها ببيان أسرار التفاوت الجمالي بين الأساليب لم يفصلوا في شرح عناصر السياق اللفظي والحالي وبيان أثرها في إجلاء المعنى اذ كانوا يعتمدون على السياق في صنوف ما يقدمونه من أنماط في تحليل الأدبي .

من خلال ذلك يتضح لنا إدراكهم لأثر سياق الحال في إجلاء المعنى وتوضيحه وكيف يتغير معنى العبارة الواحدة

بتغير المقام "الموقف الكلامي" على نحوي الحذف في قول العرب: بنو فلان يطؤون الطريق: أي أهل الطريق.

إن القرائن في اصطلاح البلاغيين هي الأسس التي تقوم عليها أبحاثهم في المجاز والاستعارة، وأما قرينة السياق: يقول

تمام حسان: "لقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم." (39)

### الأصوليون والسياق:

فاللغة عند الأصوليين نظام من العلامات أرقى من غيره، وقد تنشأ في الأصل تلبية حاجات المجتمع كما نبه

الأصوليين في كثير من المواضيع إلى الألفاظ المفردة والتراكيب تعرض بسبب السياقات اللفظية والمقامية المختلفة الألوان من

التغير الدلالي ولذلك ينبهون إلى ضرورة الاستعانة بالسياقين الفعلي والحال، أو أما تسميه نظرية السياق بالموقف الكلامي،

بجميع عناصره. (40)

ودراسة الأصوليين للقرائن المخصصة للعام تدل على إدراكهم الواعي لعناصر السياق وأثرها في تحديد المعنى، وهي قرائن

حالية الحس والعقل والعرف أي العادة، وقرائن لفظية تشمل السياق اللفظي حيث يعدون القرآن وما صح من السنة وحدة

متكاملة يفسر بعضها كما تشمل السياق اللفظي بمعناه الضيق الذي يشمل الآيات والنصوص المتتالية. (41)

وينكر الغزالي أن تدل صيغة الأمر عارية من القرائن أي مقطوعة عن السياق على الوجوب أو الندب ويرى أنه

"ليس شيء من ذلك مسلما، وكل ذلك علم بالقرائن فقد تكون للأمر عادة مع المأمور وعهد وتقتزن به أحوال وأسباب تفهم

الشاهد الوجوب."

ويبين الغزالي أثر الموقف الكلامي بجميع ملبساته في الكشف عن المعنى وتحديدته، فيذكر أن المخاطبة شفاهها لا

يمكن دعوى العموم فيها بالإضافة إلى جميع الحاضرين... فقد يحضر جماعة من الغلمان البالغين والصبيان فيقول: أركبوا معي

ويريد به أهل الركوب منهم دون من ليس له أهلا له، فلا يتناول خطابه إلى من قصده، ولا يعرف قصده إلا بلفظه أو شمائله

الظاهرة. (42)

ويعبر ابن القيم عن أهمية السياق في دراسة المعنى "السياق يرشد إلى تبين الجمل، وتعيين المحتمل والقطع بعدم

احتمال غير المراد وتخصيص العام، والتقيد للمطلق وتنوع الدالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهله

غلط في نظره، وغالط في مناظرته، وقد وجدنا عنده نماذج طيبة لتحليل اللغوي للنصوص على المستويات الصرفية والتركيبية

والمعجمية موصولة لأسباب بقرائن السياق، بيد أنه لم يفصل في تحليله بين كل مستوى وآخر ولم يتبع التدرج المعروف حديثاً، ولكن ذلك بغض النظر عن شأن عملية التضخم. (43)

### ب- المحدثون ونظرية السياق:

لفت فنديريس أوائل هذا القرن إلى أهمية السياق قبل ظهور النظرية على الشكل الذي بينها، بدا أنه لم يعني بإبراز أهمية الشق الاجتماعي للعناصر غير اللغوية ونجد من اللغويين المحدثين من غير اتباع فيرث من يبين أهميتها القصوى في فهم النصوص اللغوية المنطوقة والمكتوبة، لكنه يحذر من المغالاة والمبالغة التي يدعيها بعض أنصار هذه النظرية الذين يرون أن الكلمة معزولة عن السياق وليس لها معنى على الإطلاق ويرى أن السياق ليس مقصوراً على معناه التقليدي وهو النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم (44)

وإنما يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية والسابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلها والكتاب كله كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل من الكلمة من ظروف وملابسات والعناصر غير اللغوية متعلقة بالمقام الذي تطبق فيه الكلمة هي الأخرى وأهميتها البالغة في هذا الشأن. (45)

وينتهي أولمان ULLAN إلى أن نظرية السياق إذا طبقت بحكمة تمثل حجر الأساس في علم المعنى وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج باهرة في هذا الشأن، مثلاً قد أحدثت ثورة في طرق التحليل الأدبي ومكنت الدراسة التاريخية للمعنى من الاستناد إلى أسس حديثة أكثر ثباتاً... وفوق هذا كله قد وضعت لنا نظرية السياق مقاييس لشرح الكلمات وتوضيحها عن طريق التمسك بما سماه الأستاذ فيرث "ترتيب الحقائق في سلسلة

من السياقات أي سياقات كل واحد منها ينضوي ضمن سياق آخر، وكل واحد منها وظيفة بنفسه وهو عضو في سياق أكبر وفي كل السياقات الأخرى، وله مكان خاص فيها يمكن أن نسميه سياق الثقافة. (46)

والحق أن هذا المنهج طموح إلى درجة لا تستيع معها في الكثير من الأحيان إلا تحقيق جانب منه واحد فقط ولكنه مع

ذلك يمدنا بمعايير تمكننا من الحكم عن النتائج الحقيقية حكماً صحيحاً. (47).

- 1 لسان العرب، لابن منظور، ص 166 دار صابر، بيروت، لبنان، طبعة 1410 - 1990.
- 2 علم الدلالة بين النظر والتطبيق، د. أحمد نعيم الكراعين، ص 90، ط1، 1993 المؤسسة الجامعية.
- 3 علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 28.
- 4 دراسة الدلالة والمعجم، د. رجب عبد الجواد إبراهيم، ص 19، دار غريب، د، ط
- 5 دراسة المعنى عند الأصوليين، طه سليمان حمودة، ص 20.
- 6 المرجع نفسه ص 20.
- 7 أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 28.
- 8 المرجع نفسه ص 28.
- 9 المرجع نفسه ص 29.
- 10 دراسات في الدلالة والمعجم، د، ع { ج، إبراهيم، ص 20.
- 11 المرجع نفسه ص 20.
- 12 دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 415.
- 13 دراسات في الدلالة والمعجم، د، ع، ج، ج إبراهيم، ص 21.
- 14 المرجع نفسه، ص 21
- 15 المرجع نفسه، ص 20.
- 16 علم الدلالة، أحمد مختار، ص 80.
- 17 المرجع نفسه، ص 80.
- 18 مباحث في اللسانيات، أمده حساني، ص 155، ط1999، ديوان المطبوعات الجامعية.
- 19 المرجع نفسه ص، 156.
- 20 المرجع نفسه ص 157.
- 21 مباحث في اللسانيات، أمده حساني، ص 157، ط1999، ديوان المطبوعات الجامعية
- 22 المرجع نفسه، ص 157.
- 23 المرجع نفسه، ص 158.
- 24 دراسات في الدلالة والمعجم، ر، ، ج، إبراهيم، ص 24.
- 25 المرجع نفسه، ص 25.
- 26 المرجع نفسه، ص 25.
- 27 مباحث اللسانيات، أحمد حساني، ص 158.
- 28 المرجع نفسه، ص 158.
- 29 المرجع نفسه، ص 158.
- 30 المرجع نفسه، ص 159.
- 31 المرجع نفسه، ص 159.
- 32 المرجع نفسه، ص 159.
- 33 المرجع نفسه، ص 159.
- 34 دراسة المعنى عند الأصوليين، د، طه سليمان حمود، ص 227، د. ط. دار الجامعية.
- 35 المرجع نفسه، ص 220.
- 36 المرجع نفسه ص 220.
- 37 المرجع نفسه، ص 220.
- 38 المرجع نفسه، ص 223.
- 39 علم الدلالة بين النظر والتطبيق، د. أحمد، نعيم الكراعين، ص 102.
- 40 علم الدلالة بين النظر والتطبيق، د، أحمد نعيم الكراعين، ص 226 / 227.
- 41 المرجع نفسه ، ص 227.
- 42 المرجع نفسه، ص 231
- 43 المرجع نفسه، 233.
- 44 دراسة المعنى عند الأصوليين، د، طه سليمان، حمودة، ص 218.
- 45 المرجع نفسه، ص 219.
- 46 دراسة المعنى عند الأصوليين، د، طه سليمان، حمودة، ص 219
- 47 المرجع نفسه، ص 219.